

احذر الشرك بالله 1

الشيخ محمد صالح المنجد

النبة:

إن أعلى ما يملكه المسلم هو عقيدته التي يؤمن بالله سبحانه وتعالى بها، ويعتقد ما يجب لله سبحانه وتعالى من أنواع التعظيم، ويوحده عز وجل كما يريد، وينصرف عن كل ما يناقض هذا التوحيد، وإن من أعظم الواجبات على المسلم الابتعاد عن الشرك المنافي لهذا التوحيد.

أهمية العقيدة.

أمور تنافي التوحيد.

الخطبة الأولى:

إن الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا، وسيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله.

{ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ } (سورة آل عمران 102).

{ يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا } (سورة النساء 1).

{ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا * يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَنْ يُطِيعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا } (سورة الأحزاب 70-71).

أما بعد:

فإن أصدق الحديث كتاب الله، وخير الهدي هدي محمد صلى الله عليه وسلم، وشر الأمور محدثاتها، وكل محدثة بدعة، وكل بدعة ضلالة، وكل ضلالة في النار.

أهمية العقيدة.

أيها المسلمون:

إن أعلى ما يملكه المسلم هو عقيدته التي يؤمن بالله سبحانه وتعالى بها، ويعتقد ما يجب لله سبحانه وتعالى من أنواع التعظيم، ويوحده عز وجل كما يريد، وينصرف عن كل ما يناقض هذا التوحيد، وإن من أعظم الواجبات على المسلم الابتعاد عن الشرك المنافي لهذا التوحيد، وقد بينا في خطبة سابقة أركان هذه العقيدة، وخطوطها الإجمالية الرئيسية، ثم بينا في خطبة تليها أعظم أنواع الشرك الأكبر التي تنافي هذه العقيدة، ونثلث اليوم بذكر بعض الأمور المنافية للتوحيد، مما بعضه من الشرك الأصغر، وبعضه من الشرك الأكبر؛ لأن معرفة الشر لتوقيه من الأمور المهمة للمسلم في هذا العصر الذي عم فيه الجهل، وحصل فيه من الكثيرين الوقوع في أنواع الشرك كبيرها وصغيرها.

أمور تنافي التوحيد.

فمما ينافي التوحيد: الإشراك مع الله سبحانه وتعالى بذكر مخلوق وعطفه عليه في أمر من الأمور كقول الرجل: ما شاء الله وشاء فلان، ولما قال رجل للنبي صلى الله عليه وسلم: ما شاء الله وشئت، غضب عليه الصلاة والسلام وقال: ((أجعلني لله عدلاً، قل: ما شاء الله وحده)) [رواه النسائي 10758]، وعلمنا في حديث آخر أن نقول: ((ما شاء الله ثم شاء فلان)) [رواه أبو داود 4980]، وفي معنى هذا قول القائل: أنا بالله وبك، أو أنا في حسب الله وحسبك، أو مالي إلا الله وأنت، أو أنا متوكل على الله وعليك، أو هذا من الله ومنك، أو الله لي في السماء وأنت لي في الأرض، أو أنا تائب إلى الله وإليك، وبعضها أقبح من بعض، وقد علمنا الملك في حديث الأبرص والأقرع والأعمى بقوله للرجل: ((فلا بلاغ اليوم إلا بالله ثم بك)) [رواه البخاري 3464]، وأن نضع كلاً في منزلته، ((فلا بلاغ اليوم إلا بالله ثم بك)) [رواه البخاري 3464]، ولم يقل: إلا بالله وبك، ومن هذا القبيل من النوع المحرم قول بعض الناس: لولا الله وفلان ما حصل كذا، وقول بعضهم: أعوذ بالله وبفلان، أو هذا من صدقات الله وصدقاتك، ونحو ذلك مما فيه تسوية بين الخالق والمخلوق، ومن هذا القبيل أيضاً قول القائل: ببركة الله وبركة فلان، والأمثلة على ذلك كثيرة.

ومن الأمور ما لا يجوز عطفه حتى بتم كالتوكل فلا يجوز لقائل أن يقول: أنا متوكل على الله ثم عليك؛ لأن التوكل لا يكون إلا على الله، ولأنه عبادة لا تصرف إلا لله.

ومن الأمور المنافية للتوحيد ما نسمعه في خطب بعض المنحرفين عن الشريعة المجانين للدين من أهل الأهواء في قولهم في تصدير خطاباتهم: بسم الله بسم العروبة، بسم الشعب، ونحو ذلك من الأمور فهذا إخلال بالتوحيد، ولو ذكرت مثل هذه الكلمات على ذبيحة لما جاز أكلها، واعتبرت كالميتة، فلا يجوز أن يقال: بسم الله بسم العروبة، ونحو ذلك من الأشياء التي يقوها بعض الثوريون، ومثل قول المشركين: بسم المسيح، أو بسم الجيب، ونحو ذلك من أسماء آلهتهم التي ذكرها على الذبائح شرك أكبر، كيف يحدث مثل هذا ممن ينتسب للإسلام أو يدعيه في تصديره لخطاباته.

ومن الأمور المنافية للتوحيد أيضاً عند نزول المطر قول القائل: مطرنا بنوء كذا وكذا، مطرنا بالنوء الفلاني، أو بالنجم الفلاني، ونحو ذلك.

وعلمنا صلى الله عليه وسلم القول الصحيح وهو: ((مطرنا بفضل الله ورحمته)) [رواه البخاري 846]، فنحن نرد نزول المطر إلى الله، لا إلى نوء ولا إلى نجم، ولا إلى منخفض جوي وإنما نقول: مطرنا بفضل الله، وأما ذكر السبب وشرحه بالعوامل الطبيعية فلا شيء فيه، شرح نزول المطر بذكر العوامل الطبيعية التي أدت إلى نزوله لا شيء فيه، لكن ذكر هذا الشيء الطبيعي على أنه هو الذي أنزل المطر أو أنه هو السبب ولم يجعله الله سبباً فهو من أنواع الشرك.

ومن الأمور المنافية للتوحيد إطلاق لفظ السيد على المنافق أو الكافر، وما أكثره اليوم، قال صلى الله عليه وسلم: ((لا تقولوا للمنافق سيدنا، فإن يكن سيدكم فقد أغضبتكم ربكم)) [رواه أحمد 22939]، ذلك لأنه لا يجوز تسييد

المنافق ولا الكافر، بل إن هذا من الاستخفاف بشرع الله عز وجل.

ومما ينافي التوحيد أيضاً، بل من أعظم ما ينافية التأيي على الله كقول القائل: والله لا يغفر الله لفلان، والله لا يرحم الله فلاناً، وهكذا من الأمور، فهذا الذي يقول الله بشأنه: **((من ذا الذي يتألى عليّ أن لا أغفر لفلان))** [رواه مسلم 2621]، وقائله على خطر عظيم.

ومما ينافي التوحيد قول القائل إذا عشر، أو وقع في مصيبة أو حصل له مشكلة مثلاً: يا جاه محمد، أو يا علي، أو يا سيدي فلان، أو يا ست نفسية، فهذا من جنس الشرك الذي يقع فيه الأوغاد في هذا العصر، لا يراعون الله حقاً، ولا يناشدون الله ولا يدعونه، بل يدعون غير الله من نبي أو عظيم أو ولي أو صحابي ونحو ذلك، وهذا من الشرك فلا يدعى إلا الله، ولا يستغاث إلا به، لا يستغاث بميت، ولا يستعان به وإنما يستعان بالله عز وجل.

ومما ينافي التوحيد سب الدهر، مثل لعن الساعة أو اليوم أو الشهر أو السنة ونحو ذلك، أو قول: يا خيبة الدهر، فإن هذا يؤدي إلى ما يلي:

سب من ليس بأهل للسب، فإن الدهر من خلق الله، مسخر لله ومنقاد، فكيف يسب؟.

ثانياً: إنه سب متضمن للشرك؛ لأن الذي يسب الدهر أو يسب الساعة أو يسب الزمان فكأنه يعتقد أن هذا الزمان يضر وينفع وأنه هو الذي يعمل عمله ويفعل فعله ولذلك سبه وشتمه، أو أن الدهر ظالم، أو الزمان جائر، أو قول بعض العامة: الزمن غدار، ونحو ذلك.

ثالثاً: أن سب الدهر يعود على من خلق الدهر؛ لأن الدهر ليس له من الأمر شيء، قال الله تعالى في الحديث القدسي: **((يؤذي ابن آدم يسب الدهر وأنا الدهر))** [رواه البخاري 4826].

ومن الأمور المنافية للتوحيد: الحلف بغير الله تعالى، قال صلى الله عليه وسلم: **((من حلف بغير الله فقد كفر أو أشرك))** [رواه الترمذي 1535]، **((لا تحلفوا بأبائكم))** [رواه البخاري 3836]، والحلف بغير الله يشمل الحلف بالأنبياء أو الأولياء أو الجمادات ونحو ذلك، أو الآباء والأقرباء، كقول القائل: والنجي، أو والكعبة، أو وحياة فلان، أو ورأس أبي، وحياة أولادي، أو وأمانتي، قال صلى الله عليه وسلم: **((من حلف بالأمانة فليس منا))** [رواه أبو داود 3253]، أو وشرفي، ونحو ذلك من الأمور، فكل هذا لا يجوز؛ لأن الحلف تعظيم للمحلوف به، وهو إذا عظم المحلوف به، وكان هذا المحلوف به ليس الله عز وجل، وإنما هو مخلوق من المخلوق، فإنه صرف نوعاً من التعظيم لا يجوز إلا لله صرفه لغير الله.

ومما ينافي التوحيد أيضاً: تعبيد الأسماء لغير الله، كما كانوا في الجاهلية يسمون عبد الجن وعبد الحجر، وعبد شمس، وعبد مناف، وعبد العزى، وعبد الكعبة، وعبد اللات، وعبد المسيح، ونحو ذلك، فكل اسم معبد لغير الله فهو حرام، أياً ما كان، فمن سمى عبد النبي أو عبد الرسول، أو عبد الإمام أو عبد الأمير أو عبد الباقر أو عبد الحسن أو عبد الحسين، ونحو ذلك فهو مشرك بالله عز وجل، وبهذه المناسبة، وليس في أصل الموضوع وبالمناسبة نقول لبعض الناس: تجنبوا التعبيد لأسماء لم ترد لله مثل عبد النور وبعد العال لم يرد من أسمائه العال، وإنما ورد المتعال، وعبد المقصود فلم يرد تسمية الله بالمقصود، وعبد الوحيد فليس من أسمائه الوحيد، وإنما من أسمائه تعالى

الأحد والواحد، وعبد العاطي فليس العاطي من أسماء الله ولم يثبت له، فتجنب ذلك يا عبد الله. ومما ينافي التوحيد: قول القائل بعد فوات الأمر: لو أتي فعلت كذا لكان كذا، فإن رسول الله صلى الله عليه وسلم علمنا فقال: ((لا تقل: لو أتي فعلت كذا لكان كذا فإن لو تفتح عمل الشيطان)) [رواه مسلم 2664]، ولذلك فإن الإنسان إذا وقع في شيء حتى لا يتندم ولا يتأسف يغلط هذا الباب، فإنما فيه تندم وتحسف لا فائدة فيه لا يقوله الإنسان المسلم، بل إن الذي يقول: لو أتي فعلت كذا لكان كذا يظن بأنه لو غير تصرفه لغير قدر الله، لو غير فعله لنجا من قدر الله، وهكذا، وهذا غلط فماذا يدريه ربما لو لم يفعل هذا الأمر لوقع فيما هو أعظم أو فيما هو أشد ونحو ذلك، وإنما نقول: قدر الله وما شاء فعل، هذا ما علمنا إياه نبينا صلى الله عليه وسلم، علمنا ما ينفع وهما عما يضر.

ومن الأمور كذلك: اعتقاد البركة في أشياء لم ترد البركة فيها في الشريعة، فهذا مما ينافي التوحيد. وسئل الشيخ محمد بن إبراهيم رحمه الله عن قول الرجل: تباركت علينا يا فلان، فقال: هذا لا يجوز، فهو تعالى المبارك والعبد هو المبارك، والله عز وجل جعل في أمور البركة ونزع من أمور البركة إليه سبحانه، هو الذي يجعلها فيما يشاء ويرفعها مما يشاء، سبحانه وتعالى، وليس لمخلوق أن يبارك في شيء أبداً فإن الله عز وجل هو الذي يطرح البركة في الأمور.

نسأل الله العظيم رب العرش العظيم أن يجعلنا من الموحدين، وأن يجعلنا من الذين يجتنبون ما ينافي التوحيد صغيره وكبيره، نعوذ بك أن نشرك بك شيئاً نعلمه ونستغفرك لما لا نعلمه، أنت الولي الغفار فاغفر لنا ذنوبنا وإسرافنا في أمرنا.

أقول قولي هذا وأستغفر الله لي ولكم، وأرجوا من إخواني أن يتقدموا ويتفقدوا ويدخل إخوانهم الواقفون في الغبار خارج المسجد.

الخطبة الثانية:

الحمد لله الذي لا إله إلا هو وحده لا شريك له، له الملك وله الحمد وهو على كل شيء قدير، هو الأول والآخِر والظاهر والباطن، وهو بكل شيء عليم، هو السميع العليم، وهو البصير بخلقه وعباده سبحانه وتعالى، هو الواحد الأحد الذي لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفواً أحد، أيها المسلمون ينبغي أن نحذر من أنواع الشرك في اللفظ أو العمل، فإن كثيراً من الناس تنبؤك ألفاظهم عن عدم احترامهم لعقيدتهم، وعن تساهلهم فيما يغضب الرب عز وجل، مع أن أهم المهمات هو التوحيد، وأن أعظم الواجبات على العبد أن يوحد ربه.

ومن العبارات المنكرة كذلك قول بعضهم: الدين لله والوطن للجميع، يعني أن دين الله والسكان الذين يعيشون في الوطن لا يضر ما دام الوطن يجمعهم، فنقول: كذبتم وخستتم، وهذه كلمة كبرت تخرج من أفواهكم إن تقولون إلا كذباً، كلمة عظيمة مفضية للردة عن الإسلام، والخروج عن هذه الشريعة، ومفارقة النور إلى الظلمات، كلمة توقع في الكفر والله، واعتقادها كفر ولا شك فيه، قولهم: الدين لله، والوطن للجميع.

ومما ينافي التوحيد أيضاً: ما يقع فيه بعض العامة بقولهم: شاءت السماء، شاءت الطبيعة، وشاءت الأقدار؛ لأن

هذه الأشياء لا مشيئة لها، وإنما المشيئة لله رب العالمين، فهو يفعل ما يشاء سبحانه وتعالى، وحتى مشيئة المخلوقين من أمثالنا تحت مشيئة الله {وَمَا تَشَاءُونَ إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ} (سورة التكويد 29).

ومن الأمور المنافية للتوحيد كذلك: قول بعض المسافرين: أنا ذاهب للعمرة مثلاً ثم لزيارة قبر النبي صلى الله عليه وسلم، يقول وهو في هذه المنطقة مثلاً: أنا ذاهب للعمرة ولزيارة قبره عليه الصلاة والسلام، فنقول لهذا القائل: إن نبيك صلى الله عليه وسلم قد قال: ((لا تشد الرحال إلا إلى ثلاثة مساجد)) [رواه البخاري 1189]، فلا يجوز قصد السفر لمكان يتبعد فيه إلا الثلاثة مساجد، فلا إلى قبر ولا إلى مسجد آخر، حتى قال أهل العلم: من نوى سفره الذهاب إلى مسجد قباء لا يشرع له إلا من كان قريباً من قباء فذهب إلى قباء يوم السبت مثلاً يصلي فيه فله أجر عمرة، وأما أن ينوي بقلبه السفر من أجل مسجد أو موضع في الأرض ليعبد الله فيه غير المساجد الثلاثة فإن سفره محرم، لكن لو صار في ذلك المكان، سافر لحاجة ولغرض فوجد نفسه بجانب مسجد يصلي فيه لا بأس، لكن أن يقصد بالسفر مسجداً أو موضعاً في الأرض ليعبد فيه غير المساجد الثلاثة فلا يجوز، فما بالك بمن شد الرحل لزيارة قبر ولو قبر النبي صلى الله عليه وسلم، فإن ذلك لا يجوز، فالواجب أن يقول القائل: أنا ذاهب إلى مكة ثم إلى مسجد رسول الله، مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم وليس إلى القبر، إلى مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم لأصلي فيه؛ لأن الصلاة في مسجد رسول الله عليه الصلاة والسلام بألف صلاة فيما سواه من المساجد، فإذا وصل الرجل إلى مسجده عليه الصلاة والسلام، بقصد الصلاة في المسجد فوجد نفسه في المسجد قريباً من القبر، يأتي القبر ويسلم على رسول الله صلى الله عليه وسلم لا بأس بذلك أبداً، وزيارة القبور مشروعة للرجال، ولذلك ففرق بين من ينوي بالسفر الذهاب للمسجد النبوي، وبين من ينوي بالسفر الذهاب للمسجد النبوي وبين من ينوي بالسفر زيارة القبر ونحو ذلك، فالأول حلال مشروع، والثاني حرام مبتدع، وأما إذا وصل البلد وكان بها مقابر فمر بها ولو كانت بلدًا بعيدة فمر بالمقابر فسلم عليها لا بأس بذلك، وهو مأجور إن شاء الله.

ومما يناقض التوحيد أيضاً: التشاؤم بالأزمة، أو الأمكنة، أو الأصوات، ونحو ذلك، مثل التشاؤم بصوت الغراب أو البوم، أو التشاؤم بأصحاب العاهات كالأعور الأعرج، ونحو ذلك، أو التشاؤم بشهر صفر، أو آخر أربعماء من كل شهر، ونحو ذلك، أو التشاؤم بالرقم ثلاثة عشر ونحو ذلك، فإن هذه التشاؤمات حرام لا تجوز، ومن وقع في الطيرة فقد وقع في الشرك، يناله من الشرك نصيبه منه، شركاً أصغر أو أكبر بحسب اعتقاده، والطيرة: أن يردك الشيء عما كنت تريد أن تفعله، الطيرة: أن تتشاءم فيردك التشاؤم عما كنت تريد أن تفعله، فإذا ردك شيء غير شرعي عما تريد أن تفعله وقعت في الطيرة، فمن ذهب ليفتح دكانه فشاهد أعرج أو أعمى في الطريق فرجع إلى البيت متشاءماً، أو سمع صوت غراب أو طار طير جهة اليسار أو الشمال مثلاً، فلم يفتح الدكان مثلاً، ورجع عن مشواره أو عن عمله من أجل ذلك، أي أن هذا التشاؤم رده عن عمله فقد وقع في الشرك، فهذا هو التشاؤم، هذا هو التشاؤم المذموم، ولهذا الموضوع بقية؛ لأن بيان ما ينافي التوحيد من الأمور المهمة للناس الذين وقع كثير منهم في تفريط في تعلم عقيدتهم.

أيها المسلمون:

عظموا الله كما ينبغي له، وكبروه وسبحوه واذكروه فهو المنعم عليكم بنعمة الإسلام والدين وهذه العقيدة الصحيحة التي حرم منها الملايين في أقطار الأرض، فهم عاكفون على أصنام أو طواغيت، ويشركون بالله عز وجل، أو يلحدون به، أو ينكرون وجوده، وأنتم أهل الملة الحنيفية، وأهل هذه الشريعة، وهذه العقيدة، فلا يحرفنكم شيطان من الإنس أو الجن عن هذا الدين وعن هذا التوحيد، وصلوا على نبيكم في هذا اليوم العظيم يوم الجمعة، فمن صلى عليه صلاة واحدة صلى الله عليه بما عشرين، فلا تنسوا الصلاة عليه سائر هذا اليوم، وليس في الخطبة فقط، وإنما في سائر هذا اليوم، صلوا عليه، على نبينا الذي علمنا الدين والتوحيد والعقيدة صلى الله عليه وعلى آله وصحبه أجمعين.

اللهم انصر هذا الدين، اللهم انصر هذا الدين، اللهم انصر عبادك الموحدين، اللهم اخذل الكفرة والمشركين، اللهم قاتل الكفرة الذين يكذبون رسلك، ويعادون أولياءك، وينبذون شريعتك، اللهم افضح المنافقين، واهتك أستارهم، واكفنا شرورهم، اللهم عليك بأعداء الدين، اللهم نسألك نصراً عزيزاً، وفتحاً قريباً، تفتح فيه بيننا وبين الكفرة بالحق، وتنصرنا عليهم يا رب العالمين، اللهم اخذل اليهود ومن شايعهم، واجعل كيدهم في نحورهم، وطهر بلاد المسلمين منهم، اللهم رد المسلمين إلى الإسلام رداً جميلاً، اللهم من كادنا فكده، ومن أرادنا بسوء فدمره، اللهم عليك بأعداء الدين فإنهم لا يعجزونك، اللهم اجعل عليهم رجزك وبأسك وعذابك يا رب العالمين، يا جبار انتقم منهم إنك على كل شيء قدير.

اللهم اغفر لنا ذنوبنا وإسرافنا في أمرنا، وثبت أقدامنا.